في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ۝٢ ﴾ [الجمعة] فسرها بالخط والقلم، وكلمة (الكتاب) مصدر للفعل (كَتَبَ) مثل الكتابة[١]، فقال: «الكِتَاب: الخط بالقلم، لأن الخط فشا في العرب بالشرع، لما أُمِرُوا بتقييده بالخط»[٢].

ثانياً ـ النبيُّ ﷺ يأمر بكتابة القرآن:

نزل القرآن مفرقاً، وكان رسول الله ﷺ قد يسر الله له حفظ القرآن، فلم تكن به حاجة إلى مصحف يقرأ فيه، وكان يتلوه على صحابته، ويأمرهم بتعهده خشية نسيانه، وآفة الحفظ النسيان، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بكتابة القرآن، ونقل عنه أنه قال: «قَيِّدُوا العلمَ بالكتابِ»[٣]. وهذا القول من جوامع الكلم، فقد جعل ﷺ الكتابة كالقيد للعلم، فلا يذهب ولا يُنْسَى. وكان القرآن الكريم أولى بالتقييد من غيره، حتى لقد قال ﷺ في الحديث المشهور الذي رواه أبو سعيد الخدري: «لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فَلْيَمْحُهُ»[٤]. وكان ذلك خشية أن تختلط ألفاظ الوحي بحديثه ﷺ، وقد أذن لبعض الصحابة بكتابة الحديث بعد ذلك[٥].

ونقل الصحابة عن النبي ﷺ أنه كان كلما نزل عليه الوحي دعا بعض مَنْ يكتبُ له، فيقول له: ضَعْ هذه الآية أو الآيات في السورة التي يُذْكَرُ فيها كذا وكذا[٦]، يعني اسم السورة. وكان كثيراً ما يقول: «آدْعُ لي زيداً، وَلْيَجِئْ باللَّوْحِ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١٩٢ كتب.

(٢) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٩٢.

(٣) الخطيب: تقييد العلم ص٦٩، وروى الدارمي هذه الكلمة عن عمر بن الخطاب (سنن الدارمي ١/ ١٢٧)، وقد يكون عمر اقتبسها عن النبي واستشهد بها.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٢٩، والدارمي: كتاب السنن ١/ ١١٩.

(٥) ينظر: سنن الدارمي ١/ ١٢٥.

(٦) أبو داود: كتاب السنن ١/ ٢٠٩، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٢٣٣، والزركشي: =

والدَّوَاةِ»[١]، فيكتب له الوحي. وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول الله ﷺ لا سيما أنه كان جار رسول الله ﷺ في المدينة، فقد روى ابن أبي داود عن خارجة بن زيد قال: «دخل نفرٌ على زيد بن ثابت، فقالوا: حَدِّثْنَا بعضَ حديثِ رسول الله ﷺ، فقال: ماذا أُحَدِّثُكُمْ! كنتُ جارَ رسول الله ﷺ فكان إذا نزل الوحيُ أرسل إليَّ فكتبت الوحي، . . .»[٢].

ولا ريب في أن كتابة القرآن في المدينة كانت أيسر منها في مكة، لما كان يعانيه المسلمون من القلة والأذى من المشركين، ومع ذلك جاءت روايات تؤكد أن القرآن كان يُكْتَبُ في مكة ـ قبل الهجرة ـ وأنَّ النبي ﷺ كان يأمر بكتابته[٣]. وقد ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن أوائل سورة طه كانت مكتوبة في رقعة في بيت أخته فاطمة، يتعلمون منها القرآن[٤]. ولم تكن هذه الصحيفة إلا واحدة من صحف كثيرة كانت متداولة بين المسلمين في مكة يقرؤون فيها القرآن[٥].

ويبدو أن عدداً غير قليل من الصحابة كانوا يكتبون القرآن، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «لا تكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر»[٦]. وذلك لحاجتهم إلى الكتابة على الأكتاف والجلود ونحوها، ومن ثم كثرت الصحف التي كُتِبَ عليها القرآن في أيدي الصحابة حتى إن النبي ﷺ نهىٰ أن يُسَافَرَ بالقرآنِ أو المصاحف إلى أرض العدو خشية أن ينالوها[٧].

= البرهان ١/ ٢٣٤.

(١) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٧، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٨.

(٢) كتاب المصاحف ص٣، وينظر: أبو الشيخ: أخلاق النبي وآدابه ص١٩.

(٣) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٦٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٦٧، وابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٤٤.

(٥) محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص٣٠٩.

(٦) أبو عبيد: فضائل القرآن ١٧و.

(٧) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص١٧٩ ـ ١٨٥.

ثالثاً ـ مراجعة كتابة القرآن:

لم تتوقف كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ حتى اكتملت كتابته كله، لكنه لم يكن قد جُمِعَ في مكان واحد، وإنما كان مفرقاً في الرقاع والألواح والعُسُب[1]. وقد نقل الطبري عن الزهري أنه قال: «قُبِضَ النبي ﷺ ولم يكن القرآن جُمِعَ في شيء، وإنما كان في الكرانيف والعسب»[2].

وكانت كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ تخضع للمراجعة والتدقيق، في مرحلتين، الأولى عند كتابة الآيات التي ينزل بها جبريل على النبي ﷺ، والثانية مراجعة القطع التي كُتِبَ عليها القرآن وترتيبها.

روى سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد أنه قال: «كنتُ أكتبُ الوحيَ عندَ رسول الله ﷺ وهو يُمْلِي عَلَيَّ، فإذا فَرَغْتُ قال: اقْرَأْهُ، فأَقْرَؤُهُ، فإن كان فيه سَقَطٌ أَقَامَهُ، ثم أَخرجُ به إلى الناس»[3]. ومعنى قوله: (فإن كان فيه سقطٌ أقامه) إن وَجَدَ في الكتابة نقصاً أصلحه.

وروى المحدِّثون عن زيد بن ثابت أنه قال: «كُنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ نؤلِّفُ القرآن من الرِّقَاع»[4]، ومعنى التأليف: الترتيب، لأنه يقال في اللغة: أَلَّفْتُ الشيءَ تأليفاً، إذا وصلتُ بعضه ببعض، وجمعتُ بعضهُ إلى بعض[5]. والرقاع

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٩/ ١٢، والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ٥١.

(٢) جامع البيان ١/ ٢٨.

(٣) البسوي: المعرفة والتاريخ ١/ ٣٧٧، والطبراني: المعجم الكبير ٥/ ١٤٢، والصولي: أدب الكتاب ص١٦٥، والسمعاني: أدب الإملاء ص٧٧، والهيثمي: مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٧.

(٤) الترمذي: كتاب السنن ٥/ ٦٩٠، والحاكم: المستدرك ٢/ ٢٢٩، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي: دلائل النبوة ٧/ ١٤٧، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٤٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ١٠/ ٣٥٢ ألف.

جمع رقعة، وهي تطلق على ما كان يكتب عليه القرآن آنذاك[1]. وقد قال البيهقي معلقاً على هذا الحديث: «وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب: الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ»[2].

وبناء على ذلك نَصَّ العلماء على أن كتابة القرآن سُنَّةٌ نبويةٌ ثابتة حفظ الله تعالى بها القرآن من الزيادة أو النقصان أو التحريف، فقال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ): «كتابة القرآن ليست بمُحدَثَةٍ، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مُفَرَّقاً في الرقاع والأكتاف والعسب»[3]. وقال أبو عمر الداني (ت ٤٤٤هـ): «إن رسول الله ﷺ سَنَّ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وأنه ﷺ لم يَمُتْ حتى حَفِظَ القرآنَ جماعةٌ من أصحابه»[4].

وإنما لم يجمع القرآن في صحف منظمة أو مصحف واحد في حياة النبي ﷺ لأن القرآن كان ينزل مفرقاً، فربما نزل بعض السورة وتأخر نزول تتمتها، فكانت الآيات تكتب على الرقاع وتراجع بين آونة وأخرىٰ لترتيبها في سورها بتوجيه من النبي ﷺ «فلما ختم الله، عز وجل، دينه بوفاة نبيه ﷺ وكان قد وعد له حفظه بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وَفَّقَ الله خلفاءَه لِجَمْعِهِ عند الحاجة إليه بين الدَّفتين، وحَفِظَهُ كما وَعَدَه»[5].

---

(١) المصدر نفسه ٩/ ٤٩١ رقع. وينظر: السيوطي: الاتقان ١/ ١٦٨، حيث ذكر أن القرآن كتب آنذاك على قطع الأديم، والأكتاف، والأقتاب، والقَتَب خشب الرَّحْل، واللِّخاف، وهي الحجارة الدقاق، والعُسُب، وهو كرب النخيل، والرقاع، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ١٤٧.

(٣) نقلاً عن السيوطي: الاتقان ١/ ١٦٨.

(٤) جامع البيان ١٠و.

(٥) البيهقي: دلائل النبوة ٧/ ١٥٤، وينظر: ابن حجر: فتح الباري ٩/ ١٢، والسيوطي: الاتقان ١/ ١٦٤.

إن الأحداث الجسام، والظروف الصعبة، والكفاح المستمر الذي صاحب حياة النبي ﷺ ـ وإن وسائل الكتابة الخشنة البدائية الصعبة الاستخدام، مع قلة الكتبة وضعف خبراتهم الكتابية ـ كل ذلك لم يَحُل دون كتابة القرآن، فكان رسول الله ﷺ يدعو كُتّاب الوحي ويأمرهم بكتابة ما ينزل عليه من القرآن، ويراجعه معهم.

المبحث الثاني
جمع القرآن في الصحف

أولاً ـ أسباب جمع القرآن:

كان القرآن الكريم قد كُتِبَ مفرقاً في الرقاع في حياة النبي ﷺ، وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن لم يجمع في صحف منظمة، وحين تولى أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، الخلافة في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة سعىٰ إلى تثبيت أسس الدولة التي بناها ارسول ﷺ وكان أول ما واجهه ـ في خلافته ـ ٱرتداد قبائل من العرب وامتناعهم عن أداء بعض حقوق الإسلام، ووقف الصديق من هؤلاء موقفاً حازماً، وقال كلمته المشهورة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يُؤَدُّونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه»[1]. وانضم بعض المرتدين إلى مُدَّعِي النبوات الكاذبة، فجهَّزَ الصديق الجيوش التي كان في طليعتها كبار الصحابة، لقتال هؤلاء الخارجين، ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى عادت الجزيرة العربية كلها إلى حظيرة الإسلام، واندفعت جيوش الصحابة نحو الشام والعراق.

وقد استشهد في تلك الحروب عدد من الصحابة، رضوان الله عليهم، كان من بينهم عدد من حفاظ القرآن. وكانت معركة اليمامة، التي أَذَلَّ الله فيها مسيلمة الكذاب وجمعه، من أعظم الغزوات في حروب الردة، وأبعدها أثراً، وقد استشهد

(١) تاريخ خليفة ١/ ٧٩.